تفريغ

شبكة إمام دار الهجرة العلمية

معهد علوم التأصيل

منظومة

السير إلى الله والدار الآخرة

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

شرح الشيخ

مصطفى ميرم حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله و صحبه و سلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين أما بعد :

فهذا هو المجلس السادس عشر من مجالس معهد علوم التأصيل، و هو المجلس الرابع من مجالس التعليق على الكتاب الثالث المقرر في هذا المعهد ألا وهو **منظومة السير إلى الله و الدار الآخرة** للعلامة ابن السعدي -رحمه الله تعالى- .

وتوقف بنا المقام على قوله -رحمنا الله وإياه- :

صَبَّرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا شَوْقاً إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ

لما ذكر -رحمه الله تعالى- منزلة الصبر، والتي هي حبس النفس عن السُخْطِ أو السَخَطِ، والجزع، وأن العبد يصبر على ما قضاه الله -جل وعلا- وقدره، ذكر المنزلة التي تنافس هذه المنزلة في قلب السائرين وترتفع بهم إلى أعلى المقامات، تلك المنزلة هي منزلة " الرضا "، و لك أن تقول فما الفرق بين الصبر وبين الرضا؟ والفرق كما قال أهل العلم، ومنهم الحافظ ابن رجب في الجامع : " أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه، لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإن قَوِيَ الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية " هذا ما ذكره الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى-.

فالناظم –رحمنا الله وإياه– لما ذكر منزلة الصبر –والتي تقدم الكلام عليها–، ذكر منزلة الرضا فقال: **نزلوا** يعني الذين ذكر صفاتهم من قبل وهم السائرون إلى الله بمنزلة الرضا عن الله –جل وعلا–، وعن أفعاله، وعن قضائه وقدره وعن شَرعه لأن هذه هي منزلة الإيمان التي يذاق بها طعم الإيمان كما بين ذلك نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– فقد خرج مسلم في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)) هكذا يبين رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وكذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال : ((مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا)). و الأحديث عنه –عليه الصلاة والسلام– في هذا الباب كثيرة، كما جاء أيضًا في حديث الإستخارة الذي خرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– وفيه قوله في ذلك الدعاء: ((وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ ما كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ))، وكذلك ثبت عنه –عليه الصلاة والسلام– في أذكار المساء أنه كان يقول: ((رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نبيًا)) في أذكار الصباح و المساء، و الرضا بالله –تبارك و تعالى– ربًا هو الرضا بربوبيته، وألهيته، وأسمائه وصفاته، وقضائه وقدره، وشرعه، فإن هذا كله مما يجب على المسلم من جهة الجملة –كما سيأتي معنا– أن يرضى به .

والرضا من أهل العلم من أطلق الخلاف فيه، يعني الرضا عن قضاء الله –جل وعلا– لأن المصنف –رحمه الله تعالى– إنما أراد في هذا المقام أن يذكر الصبر على القضاء أصالةً، وإن كان قد ذكر –رحمه الله– في تعليقه أنواع الصبر. فلابد أن يرضى العبد عن الأوامر، وأن يرضى عن النواهي، وأن يرضى عن القدر الذي مر معنا الصبر عليه، و لهذا يقول –رحمه الله– : "**و بالرضا تضمحل تلك المنازعة و يرضى عن الله رضا مطمئن منشرح الصدر**

بل ربما تلذذ بالبلاء كتلذذ غيره بالرخاء , و إذا نزل العبد بهذه المنزلة طابت حياته و قرت عينه " هكذا يقول الناظم -رحمه الله تعالى-.

فما حكم الرضا الذي هو بهذا المعنى، الرضا عند نزول المصائب. بعض أهل العلم يرى وجوبه، وبعضهم يرى استحبابه، وبعضهم يفصل فيفرق بين القضاء وبين المقضي، وهذا هو الراجح الصحيح. بل حكى القرافي عليه الإجماع لأن الرضا بالقضاء واجب، وأما الرضا بالمقضي فإنه قد اختلف فيه، والذي عليه المحققون من أهل العلم أنه مستحب، يقول القرافي -رحمه الله-: "اعلم أن السَخَطَ – أو السُخْط- بالقضاء حرامٌ إجماعًا والرضا بالقضاء واجبٌ إجماعًا بخلاف المقضي به ". فعلى هذا، إذا ابتلي الإنسان بمرض فتألم من المرض بمقتضى طبعه، فهذا ليس عدم رضا بالقضاء بل عدم رضا بالمقضي، ونحن لم نؤمر لأن تطيب لنا البلايا والرزايات ومؤلمات الحوادث، ولم ترد الشريعة بتثريب أحد بما ليس في طبعه، ولم يؤمر الأرمد باستطابة الرمد المؤلم , ثم ذكر كلامًا ينبغي مراجعته -رحمه الله تعالى-، أعني القرافي، وذكر بعد ذلك قوله : " والقدر فالواجب هو الرضا بالقضاء فقط، أما المقضي فقد يكون الرضا به واجبًا كالإيمان بالله تعالى، والواجبات إذا قدرها الله تعالى للإنسان، وقد يكون مندوبًا بالمندوبات، وحرامًا في المحرمات ومباحًا في المباحات، وأما الرضا بالقضاء فهو واجب على الإطلاق، وقد حزن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لموت ولده إبراهيم، ولرمي السيدة عائشة بما رميت به، إلى غير ذلك، لأن هذا كله من المقضي والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- طباعهم تتألم وتتوجع من المؤلمات، وتسر بالمسرّات، وإذا كان الرضى بالمقضي به غير حاصل في قضايا الأنبياء فغيرهم بطريقٍ أولى" وهذا هو التحقيق الذي ينبغي أن يقال. قد يصل الإنسان إلى مرتبة من التلذذ بالرضى أو عدم التسخط، والجزع وعدم تمني زوال ذلك المقضي، وإن كان هذا ربما يحصل لبعض الناس، وبعضهم يسميه حالًا إلى ما أشبه ذلك .

فعرفنا أن أهل السير إلى الله –جلّ وعلا–، والقاصدين السبيل إلى الله –تبارك وتعالى–، أنهم يرضون بما قسمه الله –تبارك وتعالى– لهم، ولا ينازعون الله –جلَّ جلاله– في قضائه وقدره، ولا يتسخطون، ولا يتضجرون على الإطلاق بل يرضون،كما مرّ معنا قوله –عليه الصلاة والسلام– في حديث أبي يحيي صهيب بن سنان الرومي: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ له خَيْرٌ)). ثم ذكر الناظم –رحمه الله تعالى– منزلة أخرى جليلة، لا تقل شأنًا عمّا قبلها، وهذه المنازل كلها يحتاجها المسلم، وهي متلازمة في قلبه لا ينفك عنها، ألا وهي منزلة شكر الله –جلّ وعلا–. والآثار التي جائت عن السلف –رحمهم الله تعالى– في الرضى بالله –جلَّ جلاله– واختيار محابه التي إختارها له، فإن من أعظم منازل الإيمان أن يكون العبد، أو أن يرضى العبد، بما إختاره الله –تبارك وتعالى– له، وأحسن المنازل ماكان الله –تبارك وتعالى– قد اختاره لك، ولهذا النبي –عليه الصلاة والسلام– قال كما في الحديث المتقدم ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ)) لأن المؤمن لما كان متقلبًا بين السراء والضراء، فإنه يعلم أن كل ذلك من عند الله –تبارك وتعالى–.

ثم ذكر الناظم –رحمه الله تعالى– منزلةً، كما قلنا جليلة القدر، ألا وهي منزلة شكر الله – تبارك وتعالى– فقال –رحمه الله–:

شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلاَئِقَ فَضْلَهُ   بِالْقَلْبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَرْكَانِ

ذكر في هذا البيت –رحمه الله– الشكر وذكر أركانه. والشكر من أعظم المنازل وأجلها، وذِكرُه في القرآن كثيرٌ، فإن الله –تبارك وتعالى– ذكر الشاكرين من عباده من الأنبياء والمرسلين، ناهيك عما ذكر من أمرهم به في كتابه الكريم، فالشكر معرفة العبد نعمة الله عليه ،معرفة العبد بقلبه نعمة الله عليه، وتحدثه بلسانه بهذه النعمة وصرف جوارحه في هذه النعمة، هذا هو الشكر لله –تبارك وتعالـى، والله –جلَّ وعلا أمر بالشكر فقال –تبارك وتعالى–

في كتابه الكريم ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة: ١٥٢] هذا أمر من الله –جل وعلا–، كذلك قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [لقمان: ١٤]، فشكر الله –تبارك وتعالى– على ما أنعم به على العبد كما في حديث صهيب –رضي الله عنه– ((وإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ)) وهذا هو الطريق الذي سلكه الأنبياء كما قال –جلّ وعلا– عن نوح –عليه السلام– ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣ ﴾ [الإسراء: ٣] وكذلك قال –جلّ وعلا– عن إبراهيم ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ ﴾ [النحل: ١٢٠ – ١٢١] وكذلك ذكر عن داوود –عليه الصلاة والسلام– لأنه أمره بذلك ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ [سبأ: ١٣]

والنبي –عليه الصلاة والسلام– لما كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتلومه عائشة –رضي الله عنها– وتقول له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك فقال : ((أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا))كما عند البخاري ومسلم، فالأنبياء كلهم هذا طريقهم –عليهم الصلاة والسلام– يشكرون الله –جلّ جلاله– ولا يتضجرون، لأن شكر الله –تبارك وتعالى– من أعظم أسباب ثبات النعم، كما قال –جلّ وعلا– في كتابه الكريم ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾ [إبراهيم: ٧]

حتى إن هذا الشكر لازم هؤلاء السائرين فشكروا ما أمر الله –تبارك وتعالى–، أو من أمر الله –تبارك وتعالى– بشكره، لأن هذا من شكر الله كما مرّ –قوله تعالى:– ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي

﴿ وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [لقمان: ١٤] وكذلك قوله –عليه الصلاة والسلام– كما عند الترمذي من حديث أبي هريرة وغيره –رضي الله عنه وأرضاه– أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ((لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)) وهذا أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– به.

فالعبد يشكر الله –جل وعلا– على ما أنعم به عليه، والشكر الذي أراده الله —جلَّ وعلا– هو ما تقدم، أن يكون مجموعًا في هذه الأركان الثلاثة :

- في القلب : بإعتراف العبد بقلبه أن ما فيه من نعم فإنه من الله –جلّ جلاله، ولهذا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيّن هذه المنزلة كما في حديث ابن عباس عند مسلم، في قوله –عليه الصلاة والسلام– ((أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمنهم كَافِرٌ)) قالوا هذه رحمة الله , وقال بعضهم لقد صدق نوأ كذا وكذا، ونحن في حديث زيد بن خالد الجهني.

- وأما تحدث اللسان بأن يثني على الله –جل وعلا– بهذه النعم ليس القصد أن يقول: أشكر الله، لا، أن يثنيَ على الله وأن يتحدث عن نعمه –تبارك وتعالى–، كما قال –جل وعلا–: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١ ﴾ [الضحى: ١١]

- وكذلك عمل الجوارح بصرفها في رضى الله وطاعته ومحابه، كما قال –جل وعلا– عن آل داوود: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ [سبأ: ١٣]

قال بعض السلف: "الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد" هذا رواه ابن جرير عن أبي عبد الرحمن الحبري –رحمه الله–. فالعبد يشكر الله على ما أنعم به، يقول الناظم –رحمه الله–: **شَكَرُوا الْذِي** ، وهو الله –جل جلاله–، **أَوْلَى الْخَلَائِقَ**

فَضْلَهُ ، لما كان الفضل من الله فإنه هو الذي يشكر كما قال –جل وعلا-: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] فالفضل بيد الله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٧٣] فإذا علمت أن ما أنت فيه من النعم، فإنك لا تتوجه بالشكر لغيره على هذه النعم، ما تطلبه من العلم، ما تتعلمه، ما تعلمه كل هذا يحتاج منا إلى شكر نعم الله –جلَّ جلاله-:

أصابتكم النعماء مني ثلاثة *** يدي ولساني والضمير المحجب

ثم ذكر الناظم –رحمه الله- منزلة أخرى، وهي منزلة التوكل على الله –جلَّ جلاله-، أن يتوكل العباد على الله فقال عليه –رحمة الله-:

**صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ		مِع بِذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ**

ولما كان التوكل لا يصح ولا يكون توكلا إلا إذا كان مقرونًا بالعمل، وبالأخذ بالأسباب، ذكرها الناظم –رحمه الله- فقال:

**صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ		مِع بِذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ**

فليس بعاقل من زعم أنه متوكل على الله، وقد ترك العمل، ترك العمل الذي يصلح دينه، و ترك العمل الذي يصلح دنياه، بل توكل على الله وبذل الأسباب التي يستطيعها ويطيقها. هذا هو التوكل، فإن حقيقة التوكل تفويض القلب واعتماده على الله –جل وعلا-، كما أنه حسن الظن بالله وطمأنينة القلب بموعود الله. وكما أن الرضى أيضًا، كما أن التوكل مكتنف للرضى، فبينهما تلازم ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "والرضى والتوكل

يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضى بعد وقوعه". هذه الكلمة عجيبة من شيخ الإسلام عن العباس ابن تيمية –عليه رحمة الله–، فلا بد للعبد أن يستحضر هذا وهذا. يقول ابن عباس –رضي الله عنهما–: "التوكل هو الثقة بالله وصدق التوكل أن تثق في الله، وفيما عند الله فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك". فإذا تأملنا هذه المعاني التي قررها أئمة السلف –رحمهم الله– فإن: "التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها" هكذا يقول الحافظ أبو الفرج ابن رجب –رحمه الله تعالى–، والله جل وعلى أمر بالتوكل في آيات كثرة فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣] وقدم المعمول على العامل، قدم الجار والمجرور ليفيد الحصر كما مر معنا مرارًا، بل قال طوائف من أهل العلم –منهم الحافظ ابن القيم كما نص عليه وجزم به– بأن التوكل شرط في صحة الإيمان، والله –جلَّ وعلا– قال في كتابه الكريم: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ [هود: ١٢٣] هذا أمر وقال: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨] وموسى –عليه الصلاة والسلام– لما مضى بقومه وقد شكو إليه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: ٨٤] ولا بد من بذل الأسباب التي تعينك على الوصول إلى هذا التوكل، وسؤال الله –جل وعلا– الذي هو الدعاء، نوع من التوكل، العبادة التي تقوم بها نوع من التوكل، ولهذا النبي –عليه الصلاة والسلام– جاء عنه كما عند الترمذي من حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)) فهي سعت، وغدت، وراحت، وأجلبت بخيرها ورجبها كما يقال، من أجل الوصول إلى مقصودها ولم تقتصر على البقاء. ولهذا قال العلماء –رحمهم الله–: "الاعتماد على الأسباب شرك وترك الأسباب قدح

في الشريعة أو قدح في العقل" فالتوكل إذا كما يقول الحافظ ابن القيم -رحمه الله- يجمع أصلين "علم القلب وعمله، أما علمه فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وأما عمله فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه" هذا كلام الحافظ ابن القيم -عليه رحمة الله -وقد قال جلَّ وعلا- في كتابه الكريم:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] وهؤلاء السائرون صحبوا التوكل، صحبوا التوكل على الله بصدق اللجوء إليه والاعتماد عليه كما مر معنا بيان ذلك. ثم ذكر الناظم -رحمه الله تعالى- منزلة أخرى من منازل السائرين وهي منزلة، الإحسان فقال -رحمنا الله وإياه-:

عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ فَتَبَوَّؤُوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ

عَبَدُوا الإِلَهَ ظاهرًا وباطنًا عبدوا الإله كما أمرهم، لزموا عتبة العبودية لم تنصرف قلوبهم عن الله -جل وعلا- وهم في هذه العبادة معتقدين، وهم في هذه العبادة يعتقدون اعتقادًا كاملًا حضور الرب -جل وعلا-، **عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ** لأن هذه المنزلة هي القدر الواجب من الإحسان، فالإحسان ركن واحد، وهذا الركن مركب من مرتبتين كما بين ذلك نبينا -عليه الصلاة والسلام- في حديث جبريل الذي رواه الشيخين في صحيحيهما ورواه مسلم من حديث عمر واتفقا عليه من حديث أبي هريرة أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما سأله جبريل وما الإحسان، قال: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)). فالمرتبة الأولى مرتبة الكمال وهي أن تعبد الله كأنك تراه، والمرتبة الثانية هي مرتبة الوجوب بأن تعتقد بأن الله -جلَّ جلاله- يراك وأنه مطلع عليك ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١]

ومنزلة الإحسان منزلة عظيمة عند الله -تبارك و تعالى- أمر بها، و أثنى على أصحابها، كما قال -جلّ و علا- : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠]، وكما قال -جلّ و علاّ-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].سفيان بن عيينة -رحمه الله و رضي عنه- سئل عن قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]، فقَالَ: ((الْعَدْلُ : الإِنْصَافُ , وَالإِحْسَانُ : التَّفَضُّلُ)).وهذا إحسان متعلق بالعباد، يقول الحافظ ابن القيم -رحمه الله- : ((مفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عباده)) و يقول -عليه رحمه الله- : ((فإنَّ الإحْسَان يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم، وتركه يوجب الضَّيم ، ويمنع وصول النِّعم إليه، فالجبن: ترك الإحْسَان بالبدن، والبخل: ترك الإحْسَان بالمال)).

فإذا عرفنا هذا، و عرفنا هذه المنزلة العظيمة، ألا وهي: منزلة الإحسان، التي أمر الله -تبارك و تعالى- بها، وأمر النبي -عليه الصلاة و السلام- بها في كلّ شيء، كما جاء في حديث أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ عند مسلم: ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ))، لفظ عام فالله-جلّ جلاله-كتب الإحسان على كلّ شيء، والنبيّ -عليه الصلاة والسلام- قال: ((مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ))، هكذا يقول نبينا -عليه الصلاة و السلام- كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، فالعبد محتاج إلى منزلة الإحسان، أن يحسن مع الله - تبارك و تعالى - .

ثمّ ذكر الناظم -رحمه الله- منزلة أخرى من منازل السائرين إلى الله -تبارك و تعالى- وهي منزلة : النصيحة. التي هي آخذت بمجامع الدّين كلّه، فقال:

نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ بِالْعِلْمِ وَالإِرْشَادِ وَالإِحْسَانِ

نَصَحُوا الخَلِيقَةَ: أي أنّهم أخلصوا النصيحة لهؤلاء الخليقة، من أجل رضا الله -تبارك و تعالى- ، لم ينصحوهم و يعاملوهم على مقتضى النصحّ لأمور تخصّهم، أو مصالح يطلبونها، بل إنّما نصحّوا لأجل رضا الله –تبارك و تعالى-.

فقال: **نَصَحُوا الخَلِيقَةَ**: أي جميع الخلق، بدون إستثناء، كلّ الخلق محتاجون إلى أن تنصح معهم، بالعلم، والإرشاد، و الإحسان، فما كان في مقدورهم من أداء النصيحة التي أمر الله -تبارك و تعالى- بها، وأمر بها رسول-عليه الصلاة السلام-، فإنّهم يفعلونها. يقول الخطابي-عليه رحمة الله-: "النَّصِيحَة كِلْمَة جَامِعَة مَعْنَاهَا حِيَازَة الْحَظّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ" تأمل في هذا. والنصيحة أمر الله -تبارك و تعالى- بها، أمر بها رسوله -عليه الصلاة و السلام-، وجاءت الآثار الدّالة على الأمر بها و على الرغبة فيها، ورحم الله من قال من السلف : "مَن ناصحك فقد أحبَّك، ومن داهنك فقد غشَّك". و لهذا كان بعض السلف يقول :" إنّك لن تنصحني حتّى تقول لي في وجهي ما أكره".

كانوا يحبون النصيحة، وترغب فيها نفوسهم لأنّهم يعلمون أنّ بها صلاحهم، و النبيّ -عليه الصلاة و السلام- قال كما في حديث أبي رقية تميم بن أوس الدّاري –رضي الله عنه- في صحيح مسلم: ((الدِّينُ النَّصِيحَة))، قلنا: لمنْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ((للهِ ولكتابِهِ ولرسوله ولأئمةِ المسلمين و عَامَّتِهم))، هذا مما يدلك على أنّ مبنى هذا الدّين على هذه النصيحة، لأنّ النبي-صلى الله عليه و سلّم-عرف المبتدأ و الخبر ليدلّ على الحصر، ((الدِّينُ النَّصِيحَة))، فإذا كانت النصيحة بهذه المنزلة من الدّين فإنّ العبد لابدّ له أن ينصح عباد الله ، و سمعت شيخنا العلامة الفوزان-يحفظه الله و يرعاه- يقول: ((أخوك من نصحك، لا من مدحك)) ، وهذه هي الحقيقة، إنّ من دواخل نياتنا أنّ أقرب النّاس إلينا من أثنى علينا، و

صحّح أخطاءنا، ومدحنا في وجوهنا، وسوّل لأنفسنا فوق ماهي عليه من الشرّ لا يعلمه إلّا الله –جلّ وعلا–، أمّا ذاك الأخ النّاصح الذي ينصحك، و إن أخطأ في جوانب من هنا ومن هنا، فإنّه هو المفروح به، هو الذي ينبغي أن يعضّ عليه بالنّواجذ، وهو الذي يُحرص على صحبته، لأنّ النصيحة بها صلاح العبد، فإذا عمل بالنصيحة، أو كان ناصحًا لإخوانه المسلمين، لطلبة العلم، لمن يصاحبهم، كما قلت لكم أنّ بعض السلف قال: ((مَن ناصحك فقد أحبَّك، ومن داهنك فقد غشَّك)). من العجب أنّ أقرب النّاس إلى قلبك من يغشّك، من لا يريك عيوبك، هذا شيء عجيب، وهذا يدلّ على أنّ الإنسان لا يريد أن يصلح نفسه، ولا يريد أن يصلح حاله،كان الشافعيّ يقول كما روى عنه الزَّعْفَرَانِيِّ : ((مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إِلا عَلَى النَّصِيحَةِ))، يقول يعقوب الفسوي حدثنا الحميدي قال : ((وما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه)) –يعني الشافعي –رحمه الله تعالى– وهذا كثير عن أئمة السلف – رحمهم الله–.

يقول الحافظ الذهبي لما ذكر قول أحمد بن نصر الخزاعي عن الخليفة لما دخل عليه من يصدقه قال: "فتأمل هذه الكلمات الجامعة وهي قوله–عليه الصلاة و السلام–:((الدِّينُ النَّصِيحَة" فمن لم ينصح لله ،و للأئمة، و للعامّة ،كان ناقص الدّين، و أنت لو دعيت يا ناقص الدّين لغضبت،فقلت لي:متى نصحتها لهؤلاء؟ كلّا، والله ليتك تسكت، ولا تنطق، أو لا تحَّسِن لإمامك الباطل، وتجرؤه على الظلم، وتغشّه، فمن أجل ذلك سقطت من عينه، ومن أعين المؤمنين، فبالله قل لي: متى يفلح من كان يسرّه ما يضرّه؟ ومتى يفلح من لا يراقب مولاه ؟ومتى يفلح من دنا رحيله، وانقرض جيله، وساء فعله وقيله ؟ فما شاء الله كان، وما نرجو صلاح أهل الزمان، لكن لا ندع الدّعاء لعلّ الله أن يلطف، وأن يصلحنا، آميــن))

هذا كلام الذهبي –عليه رحمة الله ومغفرته– وهذه الدقيقة انتهى بها وقت الدرس لكن لعلنا نخرم القاعدة فإنّ لكلّ قاعدة شواذ، فلم يبق إلّا أربعة أبيات لا نأخذ لها جلسًا مستقلاً، وإنّما نكملها إن شاء الله تعالى.

يقول بعد ذلك –رحمه الله-:

صَحِبُوا الْخَلاَئِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا   أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

هذه المنزلة: منزلة التعلق بالله –تبارك و تعالى-

بأن يكون القلب مع الله، وإن كانت الأجساد مع النّاس ،بل الأجساد مع النّاس والقلب مع الله والنبي –عليه الصلاة والسلام- لما ذكر السبعة الذين يضلّهم الله في ضلّه يوم لا ضل إلا ضله، قال : ((و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)). يعني أنّه انفرد بالله تبارك و تعالى، و خلا بالربّ- جل و علا-، و أعرض عن مشاغل الدنيّا كلّها، ولجئ إلى الله تبارك و تعالى في خلوته، ولم يلتفت قلبه إلى أحد من النّاس، بل صحب هؤلاء الناس بجسمه، أمّا قلبه فمتعلق بالله، طالب لرضاه، منافس على تقواه، لا همّ له إلا أن يرضي الله جل و علا.

يقول الحافظ ابن القيم –عليه رحمة الله- في مواضع من كتبه أنّ المقربين من شيخه شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية –رحمه الله تعالى- كانوا يقولون بأنّه كان يخرج إلى الصحراء، يقول :

حدثني من رأى شيخنا في عنفوان أمره خرج إلى البرية بكرة فلمّا أصحر تنفس الصعداء ثم تمثل بقول الشاعر :

و أخرج من بين البيوت لعلَّني   أحدث عنك القلب بالسرّ خاليا

هذه المنزلة من منا يلتفت إليها اليوم إلا من رحم الله جل و علا فأحسن أحوالنا ما نكون فيها مع إخواننا، يزين بعضنا بعضا، و يحسن بعضنا لبعض ويحسن لبعضنا البعض الآخر، كل واحد لا يعرف من أخيه إلا جوانب الإحسان، وهذا ستر الله –تبارك وتعالى عليه-، لكن كيف نحن مع الله تبارك و تعالى إذا خلونا به كما قال القحطاني عليه رحمة الله :

والله لو عرفوا قبيح سريرتي   لأبى السلام علي من يلقاني

و لأعرضوا عني و ملّوا صحبتي ولبؤت بعد كرامة بهوان

أو كما قال –عليه رحمة الله– فهذه المنزلة منزلة عظيمة.

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت و لكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

فإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله و قل لها إن الذي خلق الظلام يراني

ـ ما أحوجنا إلى أن ننظر حالنا مع الله تبارك و تعالى، إلى حالنا في عبادتنا لله جل و علا، ما منزلتنا عند الله تبارك و تعالى، هذا الذي ينبغي أن يكون عليه العبد وينبغي أن يجمع قلبه وخواطره على الله تبارك و تعالى، يجتمع قلبه، تجتمع خواطره، يجتمع حديث نفسه ،وإرادته لربه ،وطلبه ،والشوق إليه. فإن العبد إذا رُزق محبة الله ،وإذا رُزق طاعة الله فقد فاز فوزا عظيما.

يقول الحافظ الخطابي البستي عليه رحمة الله ومغفرته سائقا بسنده قال: ((حدثنا الحسين ابن اسماعيل الفقيه، قال: بلغني أن محمد ابن الحسن –رحمة الله عليه– لما أخذ في تصنيف الجامع الكبير، خلا في سرداب ،و أمر أهله أن يراعوا وقت غدائه ،و وضوئه، ويقدموا إليه حاجته منهما، و أن يؤخذ من شعره إذا طال ،وأن ينظف ثوبه إذا اتسخ ،و أن لا يوردوا عليه شيئا يشتغل به خاطره، و أقام على ماله وكيلا وفوض إليه أمره ،ثم اقبل على تصنيف الكتاب، ولم يشعر إلا برجل ينزل إليه حتى وقف بين يديه فانكره فقال له:" من أنت؟" فقال: أنا صاحب الدار" قال: "كيف ذاك؟" قال:" لأنّي قد ابتعت هذه الدار من فلان ـ يعني وكيله ـ وكان وكّله إياه عن تفويض فاحتاج إلى الانتقال ،فقال:

لمجنون العامري في هذا و إنّي لأستغشي و ما بي نعسة ،لعلّ خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلنّي أحدث عنك النفس بالسرّ خاليا

وهذه رواية أخرى من البيت الذي ذكرناه.

ـ الناظم رحمه الله يقول : **صَحِبُوا الخَلاَئِقَ بِالجُسُومِ** ـ فجسومهم، أجسادهم مع الخلائق ـ

وإنّما أَرْوَاحِهِمْ في مَنْزِلِ فَوْقَانِي ولهذا قال بعضهم : ((إن القلب يسجد تحت العرش))

و هذه منزلة عظيمة جليلة القدر. يقول بعد ذلك :

بِالله دَعَوات الْخَلاَئِقِ كُلُّهَا خَوْفاً عَلَى الإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

هذه المنزلة منزلة أيضا جليلة القدر، ألا وهي : منزلة الخوف على الإيمان .

و قد مر معنا شيء من ذلك أي من قول الناظم –رحمه الله– في الكلام على الخوف، وقد بوّب البخاري رحمه الله: **باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر**، ثم ذكر جملة من الآثار التي سقناها في منزلة الخوف التي ذكرها آنفا، وهذه المنزلة ألا وهي منزلة عدم الأمن على الإيمان منزلة نحتاج إليها.

قال عبد الرحمن ابن مهدي رحمه الله: ((مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتُد به جعل يبكي فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما أراك كثير الذنوب، فرفع سفيان شيئا من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا ،إني أخاف أن أُسلب الإيمان قبل الموت)).

هكذا يقول سفيان ابن سعيد الثوري –عليه رحمة الله –

فماذا عسى أن نقول نحن؟

و لا يخفانا جميعا أن الربّ –تبارك وتعالى– حكى لنا عن نبيه ابراهيم –عليه الصلاة والسلام– أنّه قال:﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]

ـ يقول ابراهيم التيمي: ((من يأمن البلاء على نفسه بعد ابراهيم)). الحافظ ابن رجب –رحمه الله– يقول: ((وكان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم ومنهم من كان يقنط من ذكر السوابق)) . أي :سابق علم الله فيهم.

ـ قال سفيان الثوري لبعض الصالحين: ((هل أبكاك قط علم الله فيك؟ فقال الرجل: تركني لا أفرح أبدا.)) وكان مالك ابن دينار يضلّ طول ليله قابضا على لحيته يقول: ((يا ربّ قد علمت ساكن الجنة من ساكن النّار ففي أي الدارين دار مالك؟)) هكذا ذكر الحافظ ابن رجب –رحمه الله– .

فكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدري في أي المحلين تنزل

ـ يقول الحافظ ابن القيم عليه رحمة الله: ((أمّا خوف أوليائه من مكره فحقّ، فإنّهم يخافون أن يخذلهم بذنوبهم وخطاياهم فيصيروا إلى الشقاء، فخوفهم من ذنوبهم ورجائهم برحمته، وقوله تعالى:﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٩٩] إنّما هو في حقّ الفجّار والكفار ومعنى الآية: فلا يعصي ويأمن مقابلة الله له على مكر السيئات بمكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال فيحصل منهم نوع الاغترار فيأنسون بالذنوب فيجيئهم العذاب على غِرَة)).

فتأمل في مثل هذه ـ هكذا يقول الحافظ ابن رجب –عليه رحمة الله –: ((فالعبد ينبغي له أن يخاف على إيمانه فإنّه يخشى عنه دسائس كانت في قلبه لا يعلمها، الله يعلمها)).

ولهذا إذا عمل العبد على هذه المخافة وهو سائر إلى الله –تبارك وتعالى– ولم يأمن على إيمانه، فإنّ الله –تبارك وتعالى– يؤمنه، قال أبو الدرداء –رضي الله عنه– : ((ما أحدٌ أمِنَ على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه)) .كما ذكر عنه المقدسي –رحمه الله–.

وهذا النَفَس كثير عن السلف، ينبغي لطالب العلم أن يتأمل فيه، وأن ينظر في حاله أمام الله –تبارك وتعالى–، يقول بعض السلف: ((إنّ قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم يقولون بماذا يختم لنا، وقلوب المقربين معلقة بالسوابق يقولون ماذا سبق لنا)). وهذا –كما قلت لكم– نفسٌ

كثير عنهم -رحمهم الله-، من أعظم ما ينبغي مراعاته كما قال الشيخ -رحمه الله- في شرحه:

((ومن أعظم ما ينبغي مراعاته في العمل مشهد الإحسان وهو الحرص على إيقاع العبادة بحضور قلب وجمعيته على الله، وكذلك مراعاة منة الله على العبد وأنه ينبغي له يشكر الله على توفيقه لذلك العمل أعظم الشكر، وكذلك مراعاة التقصير، وأنك لم تعطي العبادة حقها ولا قمت بجميع ما تستحقها، وكذلك مراعاة الخوف والرجاء، يخاف من ردّها بعجبٍ، أو رياءٍ، أو تكبرٍ بها، أو عدم قيامٍ بحقها أو غير ذلك، أو يرجو قبولها برحمة ربه ومنَّه وإحسانه إليه الذي من جملته توفيقه لها)). هذا كلامه -رحمه الله- في التعليق على هذا البيت. ثم قال الناظم -رحمه الله-:

عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ

وهذا كما تقدم معنا قبل هذا البيت:

صَحِبُوا الْخَلاَئِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

هو بمعنى عزفوا القلوب عن الشواغل كلّها قد فرغوها من سوى الرحمان، وهذه القلوب كما قال ابن القيم رحمه الله: ((فالقلب بيت الربّ -جل جلاله- حبًا وتعظيمًا مع الإحسان)). فإذا فرغت هذا القلب من كل ما سوى الله من مشاغل الدنيا وخصوصًا في أعظم الأعمال التي تقوم بها بين يديه يوم أن تقف بين يديه -جل وعلا-، وتكبر تلك التكبيرات في كل خفضٍ ورفع، وقد كبرت تكبير الإحرام وقد قلت: الله أكبر، فلا يبقى في قلبك شئٌ إلا تلاشى وذهب، ولم تأنس بشيء إلا بالله -تبارك و تعالى-، ولم يلتف قلبك إلى شيء إلا إلى الله -جل وعلا-، فأعظم ما تفرغ منه القلوب عن شواغلها ذلك الموقف الذي تقفه بين

يدي الله رافعًا يديك،كما جاء عن الإمام أحمد بأنّه إشاره –والعلم عند الله–، ذكر هذا أصحاب المسائل عنه، بأنّه إشارة إلى رفع الحجاب بين العبد وبين الله –تبارك وتعالى–، فإذا قلت الله أكبر فلا يكن في قلبك شيء أبدًا، إلّا الربّ –تبارك وتعالى– هذا الموقف موقف الصلاة، هو الموقف الذي يجب أن تفرغ منه القلوب إلّا من الله، أن تفرغ منه القلوب إلا من التأمل والتدبر في طاعته، نحن نحتاج إلى مثل هذا.

ثم قال –رحمه الله–:

حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ لِلَّهِ، لاَ لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

ليس في قلبهم سوى الله، ليس في إراداتهم سوى الله –جل وعلا–، كما يتحركون فيه، يتحركون فيه لله، وما يسكنون فيه، يسكنون فيه لله، إذا همُّوا فهَمُّهُم لله، وإذا عزموا فعزمهم لله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] فقد فرغوا هذه القلوب من كلّ شيء، ثم ملأوها بالحركات التي توصلهم إلى الله –تبارك وتعالى– التي تقودهم إلى العمل برضاه –جل جلاله–، ولا يلتفتون إلى أحد من الخلق.

لِلَّهِ، لاَ لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

فليس من القلوبهم من الحظ إطلاقًا للشيطان، لا برياء ولا بعجب، ولا سمعة، ولا محبة ثناء، بل أعرضوا عن الله.

نحن نتحدث عن هذه المنازل من باب الحديث عن العلم، وما ذكره الناظم -رحمه الله تعالى-، وأمّا الحقيقة -فنسأل الله العافية والسلامة-، فإن دوننا ودونها فرق القتاد، نسأل الله أن يلطف بنا.

ثم ختم الناظم رحمه الله هذه المنظومة الجليلة العظيمة بقوله:

نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُبُلِ الَّتِي تُفْضِي إِلى الخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ

هذا هو خاتمة هذا النظم، يقول هؤلاء هم الذين يسعد بهم رفيقهم إذا اقتدى بسلوك سيرهم فريقهم وهؤلاء الذين أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا طريقهم إذ أنعم الله عليهم بصدق إيمانهم وتحقيقهم، فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأن يجنبنا طرق الغضب، والضلال الموصلة إلى الخزيّ والبال، إنّه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته ونعمة أتوسل أن لا يحرمنا خير ما عنده من الإحسان والغفران، بشرّ ما عندنا من التقصير في حقوقه والعصيان، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز عنده في جنّات النعيم، والحمد لله رب العالمين أولًا وأخرًا، وظاهرًا وباطنًا، حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، كما ينبغي لكرم وجهه -عزّ جلاله-، وصلى الله على محمدٍ النبي الأميّ المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وهذا البيت هو الأخير، واخترنا أن يكون شرح الناظم عليه دون تعليق ليكون هو الختم لهذا التعليق على هذه المنظومة.

وكنت قد كتبت ثلاثة أبيات كتكملةً لمنزلة العلم التي لم يذكرها الناظم، مع أنّها منزلة مهمة، وجليلة كما ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في المنازل فقلت ما أسمعكم:

**وتعلموا علم الشريف بسيرهم		عِلم الكتاب وسنّة العدنان**

**عكفوا على الكتب التي تركت لهم		أيدي أسالفهم من الشجعان**

**واستحضروا قول الرسول وأمره		لتقاربوا وتسددوا بأمان**

وبهذا ينتهي التعليق على هذه المنظومة وعلى هذا المقرر أو الكتاب المقرر في هذا المجلس، وصلى الله على نبينا محمدا و على آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وإلى أن تأتي ما عندكم من الأسئلة، وإن شاء الله أنّكم لا تحتاجون إلى شيء من الإجابات والأسئلة نقرأ ما تيسر من كلام العلامة النجمي –رحمه الله تعالى– في كتابه الذي سبق أن قرأنا شيئًا فيه، ألا وهو المورد العذب الزلال، وقد قرأنا جملة من الأحاديث التي ذكرها الشيخ –رحمه الله تعالى– وما ذكره عليه –رحمة الله– من التلخيص لهذه الأحاديث.

قال رحمه الله تعالى : فنقول يُستفاد من هذه الأحاديث [أرجو أن يكون هذا هو الموضع] فنقول يُستفاد من هذه الأحاديث عدّة ، يستفاد من هذه الأحاديث عدّة أحكام:

الحكم الأوّل : تحريم الخروج على ولاة الأمر المسلمين ، و إن كانوا فسقة عاصين أو ظلمة جائرين ، و وجوب الطّاعة لهم فيما لم يكن معصية لله تعالى، و ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب ، و ما كان وسيلة إلى واجب فهو واجب، و ما كان وسيلة إلى محرّم فهو محرّم، و الكلام في الوُلاة و التّجريح لهم علنا محرّم، لأنّه وسيلة إلى الخروج عليهم فكان محرّما.

الحكم الثّاني: تحريم المنازعة لهم و هي تكون بأمور منها:

– إظهار احتقارهم و التقليل من شأنهم.

– إظهار مثالبهم في المجتمعات و على المنابر.

– اختلاق مثالب و عيوبا لهم من أجل زرع بغضهم في قلوب العامّة، و النّاشئة من طلّاب

العلم.

-ذمّ العلماء و اتّهامهم بالمداهنة و بيع الذمم.

– استعمال ما من شأنه التّهييج عليهم و الإثارة ضدّهم، و كلّ هذا من أنواع منازعة الحكّام الذّي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه و سلّم كما في حديث عبادة بن الصامت الذي سبق ذكره بلفظ: ((بايعنا ر سول الله صلى الله عليه و سلم على السمع و الطاعة في العسر و اليسر و النشط و و المكره، و أن لا ننازع الأمر أهله، إلّا أن تروا كفرا بواحا معكم من الله فيه برهان))

الحكم الثالث: يُؤخذ من حديث ابن عمر و ابن عباس و أبي هريرة أنّ من مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.

الحكم الرابع: يُؤخذ من هذه الأحاديث أنّ البيعة المعتبرة هي بيعة الأوّل، و هي بيعة الإمام الظاهر للنّاس و المعروف عندهم لقوله صلى الله عليه و سلم: ((فُوا بِبَيْعَة الأوّل فالأوّل)).

الحكم الخامس: يؤخذ من هذه الأحاديث أنّ البيعة الثانية و هي البيعة الخفية، بيعة باطلة، فإن قال بعض الحزبيين: أنا لم أبايع، قيل له إنّ بيعة عريفك و شيخ قبيلتك بيعة عنك و أنت ملزم بها شرعا أمام الله عزّ و جلّ، ثم أمام خلقه.

الحكم السادس: يؤخذ من هذه الأحاديث أنّ من أخذ البيعة لنفسه من وراء علم الإمام و بغير إذنه، وجب قتله إن ظُفِر به، و وجب قتاله مع الإمام، إن لم يُظفَر به، و خرج خروجا فِعلِيّا لقوله صلى الله عليه و سلم: ((من أتاكم و أمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشقّ عصاكم ،و يفرق جماعتكم ،فاضربوا عنقه كائنا من كان)).

الحكم السابع: يؤخذ من هذه الأحاديث وجوب الصبر على جور الولاة ماداموا مسلمين وعدم الخروج عليهم لقوله صلى الله عليه و سلم: ((إنّكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى

تلقوني على الحوض)) و قوله: ((من رأى من إمامه شيئا فليصبر و لا ينزِعنّ يدا من طاعة فإنّه من خرج من السلطان شبرا فمات مات ميتة جاهلية)).

الحكم الثامن: أنّ من رأى من أميره أو إمامه معصية فعليه أن ينصح له نصيحة بشروطها، فإن لم يقبل و أصرّ على معصيته وجب عليه أن يكره ما يأتي من معصية الله و لا ينزعنّ يدا من طاعة، و كذلك إذا كان لا يستطيع النصيحة، فالواجب عليه أن يكره ذلك لقول النبي صلى الله عليه و سلم في حديث أم سلمة: ((من أنكر برِئ، ومن كرِه سلِم، و لكن من رضي و تابع)).

الحكم التاسع: على الرعية أن يؤدّوا حقّ الولاة عليهم و يكلوا أمرهم إلى الله إن قصّروا في حقهم، فإنّ الله سائلهم عمّا استرعاهم و لا يجوز لهم الخروج عليهم.

الحكم العاشر: أنّ الإمام إذا حصل منه قصور في حقّ الرعية فلا يجوز لهم أن يكافئوه على ذلك بمنع حقه من الطاعة، بل عليهم أن يؤدوا حقه و يصبروا على ما حصل من الإمام إن فُرض، و معنى الصبر: أنّهم لا يتكلمون فيه في المحافل و المجتمعات و على رؤوس المنابر و لهم أن يكتبوا إليه كتابة وعظ و تذكير، فإن لم يحصل شيء من التراجع وجب عليهم أن يصبروا ، ولا يجوز لهم أن ينزعوا يدا من طاعة.

و أخيرا فإنّي أذكّر إخواني بما عليه دولتنا أيّدها الله و بما نحن فيه من أمن و رخاء و رغد عيش ، فأقول يا إخواني ، إنّ دولتنا دولة مسلمة تُحكِّم شرع الله في محاكمها و تقيم دين الله في واقعها و تعلّم التوحيد في مدارسها و معاهدها و جامعاتها، قامت على التوحيد، من أوّل يومها، و قضت على مظاهر الشرك في جميع سلطانها، تقيم الصلاة و تخصص المكافآت للأئمة و المؤذنين ، و تعمل كل خير و معروف في الداخل و الخارج ، و للأقليات المسلمة في كل مكان و كذلك ما تقوم به الدولة من إصلاحات في المشاعر المقدسة و سهر على مصلحة الحجيج و المحافظة عليهم و إرشادهم و المحافظة على سلامتهم إلى غير ذلك من

الإصلاحات التي لا يحصيها ديوان.

و نكمل إن شاء الله تعالى في المجلس القادم ، و الله تعالى أعلم، و قبل استقبال الأسئلة، إن شاء الله تعالى يوم الأحد قبل موعد الدرس، يعني الحادية عشر إلّا ربعًا ستكون هناك كلمة توجيهية للشيخ محمد بن أحمد الفيفي وفّقه الله تعالى، و أمّا مجلس الغد فسننظر في أمره ، إمّا أن تكون مذاكرة سريعة لهذه المنظومة، منظومة السير إلى الله و الدار الآخرة، لأنّنا لم نكتب مذاكرة للدرسين الماضيين، و إمّا أن يكون لقاءا مفتوحا مشتركا إلى غير ذلك، ننظر هذا إن شاء الله، نتواجد و يكون ما يسّره الله تبارك و تعالى.

الأسئـلـة:

السؤال الأول: يقول أحسن الله إليكم، هل الشكر للوالدين يقوم على أركان الشكر الثلاث مثل شكر الله– عز و جل–؟

الجواب:

بلا شك أن هذه هي أركان الشكر عموما ، معنى أنّك تشكرهم بلسانك ثم تضربهم بيدك؟ لا، لا يُعقَل هذا ، و كذلك الإعتراف بإحسانهم عليك من جهة القلب: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [لقمان: ١٤] لكن ليس هو الشكر الذي هو شكر العبادة.

السؤال الثاني: يقول أحسن الله إليكم ما الفرق بين الهموم و العزوم؟

الجواب: الهمّ و العزم و الهاجس و الخاطر هذه هي مراتب النيّة، لأنّنا لم نرد أن ندخل فيما يتعلّق بمسائل النية و أحكامها الفقهية فإنّ هذا ليس مقصودا بالدرس ،و العزم هو يعني آخرها و أعلاها ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

السؤال الثالث : يقول أحسن الله إليكم إذا كان من عادتي أن أحكي ما يقع لي من الأقدار المؤلمة لمن أسكن إليهم من الإخوة تخفيفا من شدة ما اصابني مع عدم التجزع فهل يكون هذا نقصا في صبري؟

الجواب3 : بلا شك نقص من الصبر إذا لم يكن هناك مصلحة في إخبارهم كطبيب في مرض أو مستشار لإزالة هذه القضية أو هذه المسألة أما مجرد الحكاية و مجرد التسلي أو التشهي بها فإنّ هذا لا شكّ أنه منقص لأجر العبد نسأل الله العافية.

السؤال الرابع : بارك الله فيكم هل من قدر عليه معصية الله ينبغي له أن يرضى بما قدر عليه افيدونا مأجورين؟

الجواب : لا إياك هذا التخليط فإن القدر يحتج به في المصائب، و لا يحتج به في المعايب القدر حجة للعبد على المصائب يقول { قدر الله و ما شاء فعل} أمّا المعايب فإنّه لا يجوز الإحتجاج بالقدر عليها لا يجوز للإنسان ان يفعل المعصية ثم يحتج بالقدر عليها لا يجوز أن يترك الطاعة ثم يحتج بالقدر عليها بل يجب عليه أن يمتثل أمر الله وأن يجتنب نهيه أما المصائب فيقول {قدر الله و ما شاء فعل ما أصاب من مصيبة فمن الله } وفرق بين الأمرين .

السؤال الخامس : يقول نرجو منكم مزيد من الشرح لقوله –صلى الله عليه و سلم((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)).

الجواب : يبدو أننا قد تكلمنا عن هذا في شرح الثلاثة الاصول و كذلك ممن ربما كان حاضرا في شرح الأربعين النووية و حقيقته أن قوله عليه الصلاة و السلام : ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)) ليس فيه إثبات لرؤية العبد لربه لكن من شدّة إيمانه و استحضاره لعظمة الرب تبارك و تعالى فإن أفعاله و أقواله و سكناته و ظاهره و باطنه كأنّه في حضرة الرب جل

جلاله كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم و هذا محصل كلامهم لأن قوله عليه الصلاة و السلام: ((كَأَنَّكَ تَرَاهُ)) نفي للرؤية كما هو معلوم و لا يقوله عاقل بأن العبد يرى الله تبارك و تعالى هذا استحضار لعظمته , استحضار لأسمائه و صفاته، استحضار لجلاله و جماله جلّ و علا .

السؤال السادس : يقول أرجو منكم إعادة توضيح لحكم الرضا بالمقضي به والفرق بينه القضاء .

الجواب : القضاء قضاء الله –تبارك وتعالى– الذي قضاه الذي هو نفس القضاء كما مر معك في كلام القرافي لما ذكر الأمر بالصلاة و الزكاة و الأمر بالشريعة والإيمان وما أشبه ذلك وأما المقضي فإنه المفعول يعني مفعول الرب –تبارك وتعالى– الذي فيه نوع من الألم كما مر أيضًا معنى من جهة المرض من جهة المصائب من جهة الأمور التي يكرهها العبد إنّ الإنسان لا يعني بطبيعة الحال إذا حصل له ما يؤلمه كأن يقع على الأرض أو يشاك الشوكة النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ((حتى الشوكة تشاكها)) لأنه يتألم منها هذا شيء لا يستطيعه الإنسان و لا يطيقه غيره هذا هو الفرق بين القضاء و المقضي.

السؤال السابع : يقول ما هو المتن المقرر بعد هذه المنظومة؟

الجواب : ذكرنا هذا من قبل و أن النظم المقرر إن شاء الله تعالى و هو **لمعة الاعتقاد** للمقدسي رحمه الله تعالى و قد كان العزم ابتداءا أن نأخذها بعد القواعد الاربع و لكن قلنا لا مانع أن نجعل هذه المنظمة تحذو بنا و تحثنا على سيرنا نسأل الله ان لا يقطعنا عن الله و السير إليه شيء و أن يجعلنا ممن إذا قال فيهم : ﴿ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢ ﴾ [الإنسان: ٢٢]

المتن إن شاء الله القادر هو الأسبوع الذي بعد هذا ابتداءا من مثل هذا اليوم الجمعة و هو متن "**لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد** " و قد كنا عند شيخنا العلامة أحمد النجمي و نقرأ عليه و يقرأ عليه الطلبة في فنون مختلفة كان يقوا ابدؤوا بالتوحيد قدموا التوحيد كنت أقرأ عليه في نزهة النظر للحافظ ابن حجر فقال ابدأ بالتوحيد لعلنا كنا نقرأ في شرح الثلاثة الاصول أو في الإسماعيلي فهذه الفائدة فنقدم هذا الأمر الذي قدمه الله –تبارك و تعالى– إذا انتهينا لمعة الإعتقاد إن شاء الله سيكون الدرس إن شاء الله في نخبة الفكر.

السؤال الثامن : يقول أرجو منكم توضيحا لعبارة سكونه إلى وكيله .

الجواب : يعني أنه ركن إليه و سكن فلم يتحرك بحركة سوى أنه وكل هذا الوكيل .

السؤال التاسع :هل علينا أن نقول ان الخيرات الجنة و الإحسان و رؤية الله

الجواب : في أي سياق ما هي الجملة التي تريد أن تعبر عنها

السؤال العاشر : ما معنى قول بعض أهل العلم الشر ليس في القدر في المقدور، هذا كما أرجو توضيح ذلك؟

الجواب العاشر: هذا مثل ما قدّمنا في القضاء و المقضي، فمن جهة القضاء، الله تبارك و تعالى هو الذي قضى الخير و قضى الشرّ لكن لا يُنسَب هذا في أفعال الله تبارك و تعالى، فتأمّل إلى قوله جلّ و علا حكاية عن الجنّ : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠ ﴾ [الجن: ١٠]، فلا يُنسب الشر إطلاقا إلى الله –جلّ و علا– من جهة فعله و إنّما من جهة القضاء لهذا الأمر لأنّه قضاه لمصلحة، و في دعاءه –عليه الصلاة و السلام– المشهور الذي في صحيح مسلم: ((و الشر ليس إليك)) لأنّ أفعال الربّ – تبارك وتعالى– لا يجوز نسبة الشرّ إليها، و هذا الشر عمومًا يعني مجموع الشرور التي تقع على العباد، و العلماء يذكرون: خلق الشيطان، خلق الخمر، خلق ...و ما أشبه ذلك من

المخلوقات التي يتضرر منها الإنسان أو يتألّم منها، هذا كلّه من جنس مخلوقات الله تعالى.

نعم.

السؤال الحادي عشر :ماالفرق بين أركان الصبر وأقسام الصبر، ظهر عندي التشبّه بينهما؟

الجواب: لا أذكر أنّه مرّ معنا شيء غسمه أركان الصبر، إلا إذا كُنتَ سمعتَ سبق لسان فهذا شيء آخر، إنّما مرّ معنا أركان الشكر وأقسام الصبر.

السؤال الثاني عشر: أحسن الله إليكم، ما نصيحتكم من ترك شيئا فيه خير للناس في دينهم خوفا من أن يُقال عنه فلان يحبّ التصدّر و الظهور؟

الجواب: يقول الفضيل بن عياض: [ترك العمل لأجل الناس شرك] [و] [أو ترك] (العمل لغير الله شرك و ترك العمل خوفا من الناس رياء) و تابعه العلماء على ذلك، العبد ينبغي له أن يجاهد نفسه على نيّته و يخلص نيته لله، و يفعل ما أمره الله تبارك و تعالى و يكون مفتاحا للخير كما قال عليه الصلاة و السلام :(مفاتيح للخير مغاليق للشر) و يجاهد نفسه على إصلاح نيته و على ألّا يراه الناس حيث يقوم بهذا العمل و لا يلتفت إليهم بقلبه.

ما شاء الله لعلكم تختمون بسؤال ما دام تأخرتم اتونا بسؤال بارك الله فيكم

السؤال الثالث عشر :يقول هل تكتب الرضى بالألف المقصورة أم الممدودة وهل هناك فرق في المعنى ؟

الجواب: لا، تكتب بالألف الممدودة .

ما شاء الله مازال الكثير من الأسئلة تؤجلوها إن شاء الله إلى الغد أما الفرق بين الممدودة و المقصورة من جهة الفرق في المعنى لا أعرف فرقا فيه و الله أعلم .

طيب و مازال هناك أسئلة كثيرة أبا عبد الله وفقك الله و إخوانك إن شاء الله نحتفظ بهذه للدرس الليلة القابلة وفقكم الله و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين و الحمد لله رب العالمين.